

## تأثير اللغة العربية وثقافتها في أهل مليبار

عبد الناصر سي . أتش.  
أستاذ مساعد، كلية حكومية بكاسركوت،  
وباحث، قسم العربية بجامعة كاليكوت

### خطة

يعد كلُّ من اللغة والثقافة من الأمور المهمّة التي تأخذ حيزاً كبيراً من تفكير المتخصّصين، حتى عند عامة الناس، رغم أنّهما يعتبران من الأمور التي تؤثر بشكل مباشر في تفكير الإنسان، وهويته، وشخصيّته التي ستبقى ملازمةً له طيلة حياته.

وتعد اللغة وسيلة التعبير الأولى التي يعبر بها الإنسان عمّا يشعر في ضميره من أفكار وأحاسيس، فإنّ اللغة هي الناطق الرسمي باسم الثقافة، وفي عبارة أخرى، يمكن للإنسان أن يشرح للآخرين وجوه التميّز الثقافيّ لدى أمّته، وشعبه، ويتعرّف أيضاً على الثقافات الأخرى الموجودة في هذا العالم. فإنّ ثقافة قوم من الأقاليم تسهم في تطور لغته وتقدمها وإثرائها، من خلال إدخال العديد من المفردات الجديدة إليها، فاللغة على الدوام تقتبس مفرداتها من ثقافة الأقاليم الأصليّة التي تتكلم بها. ومن بين اللغات اللغة العربية الثرية بالألفاظ والكلمات.

وأثرت العربية في أهل مليبار بشكل عام بعلاقتها بهم طوال قرون من ناحية ثقافية ودينية ولغوية. وأخذ منها أهل مليبار من العادات والتقاليد العربية في حياتهم اليومية من حيث الدين والأطعمة والأشربة والأعياد والزواج وغيرها، وامتزجت اللغة العربية بأهل مليبار حتى تولدت لغة جديدة باسم عربي مليالم، وكذا الألعاب مثل: الدف والشطرنج والنرد وغيرها. وهذه الرسالة تنير إليها خاصة وما أثرت اللغة العربية في لغتهم عامة.

### تأثير اللغة العربية وثقافتها في أهل مليبار

اللغة موهبة جليلة من مواهب الله جل وعلى ليخرج الناس من ظلمات الصمت إلى نور النطق والتلفظ. فاللغة العربية من أمهات اللغات في العالم حيث اكتسبت

مكانة تحسد عليها من النواحي المختلفة الإبداعية والخيالية والشمولية وغيرها. ومليبار منطقة تقع في جنوب الهند بين غاتس الغربية وسواحل البحر العربي. ودخلت اللغة العربية إلى مليبار وانتشرت بين أهاليها من ناحيتين: أولها - الناحية التجارية، وثانيها - الناحية الاجتماعية أو الدينية. "وأما الأولى فقد بدأت منذ آلاف السنوات قبل الميلاد لأن العلاقة العربية بمليبار تعود إلى ألفي سنة قبل الميلاد على أرجح الأقوال". ويمكن القول بدون أدنى شك، أن المعاملات التجارية بين الطرفين اللذين يمتلك كل واحد منهما لغة مستقلة تختلف من الأخرى اختلافا كاملا، تحتاج إلى جسر لغوي يتأثر ويؤثر الواحد منهما بالآخر وبالعكس وغيرها.

فأما الناحية الثانية تبدأ بظهور الإسلام فيجزيرة العرب إلا أن أشعة نور الإسلام كانت ضئيلة حينذاك في هذه المنطقة الهندية وهذا ما يذكره د / عبد المنعم النمر قائلا: "فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها، وكان من الطبيعي أن يتحدث هؤلاء في حماس وإيمان عن دينهم الجديد، وعن الرسول الذي ظهر في بلادهم، يدعو الناس إلى التوحيد والأخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعا، وكانت الهند تئن حينئذ من التفرقة ونظام الطبقات القاسي الذي تقوم عليه ديانتها، ولذا وجد الإسلام في الهند أرضا خصبة سهلة، وأصبح في كل ميناء أو مدينة اتصلها المسلمون جماعة اعتنقوا الإسلام، وأقاموا المساجد، وباشروا شعائرهم فيحرية تامة لما كان للمسلمين والعرب".<sup>١</sup>

ثم نمت العلاقات التجارية إلى العلاقات الاجتماعية بينالعرب وأهل الهند ويؤيد ذلك ما ذكره د/ سيد رضوان علي الندوي قائلا: "إن سواحل الهند الغربية والموانئ الواقعة عليها كانت معروفة لدى الجزيرة العربية منذ أقدم العصور بسببالصلات التجارية بين موانئ هذه السواحل وبين السواحل العربية في الخليج وسواحل اليمن

<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام في الهند د/ عبد المنعم النمر ص ٦٠

وذلك قبل أن يرب العالم نور الإسلام كما أن هذا من المعروف أن عددا كبيرا من العرب والإيرانيين قد استقروا من القرن السابع الميلادي في موانئ الساحل الغربي للهند وتزوجوا بنساء محليات وإن في مالابار (كيرالا حاليا) التي عرفت بتشجيعها للتجار كانت مثل هذه المستوطنات كبيرة ومهمة<sup>١</sup>.

ويتضح من هذا أن اللغة العربية بين أهالي مليبار لها أصول عريقة منذ قديم الزمان حيث يرجع تاريخها إلى عهد سليمان عليه السلام حيث يقول محي الدين الألوائي: "تحدثنا التوراة أن سليمان عليه السلام كان يتاجر مع سواحل الهندية الغربية، وكانت سفنه التجارية تصل عبر البحر الأحمر إلى موانئها لتحمل منها السلع التي كانت تشتهر بها الهند من الذهب والفضة وخشب الصندل والأحجار الكريمة والعاج والطاؤوس والقرود وغيرها"<sup>٢</sup>. فنالت اللغة العربية وثقافتها رواجاً حسناً بين أهالي مليبار دينيا واجتماعيا وثقافيا.

وهذا الاحتكاك والامتزاج بين العرب وأهالي مليبار تسربت اللغة العربية وثقافتها إلى أهالي مليبار، حيث يبدو تأثيرهما في معظم جوانب حياتهم الاجتماعية والثقافية، وبعبارة أخرى قد ظهر التأثير جليا واضحا في لغتهم وفنونهم وملابسهم وأطعمتهم وأعيادهم وعاداتهم وتقاليدهم.

### الفنون الشعبية بين أهالي كيرالا

تطورت الفنون الشعبية بالاحتكاك بين التراثين العريقين العربية والمليبارية أخذاً وعطاء، ولعل ذلك باعتناق الهندوسيين الدين الإسلامي الحنيف، فمنت حضارة جديدة كما تطورت أنواع الفنون والآداب العربية عند أهالي مليبار. ومن بين هذه الفنون التي لها تأثير ظاهر للغة العربية وثقافتها، لغة "عربي مليالم" و"مابلابات"

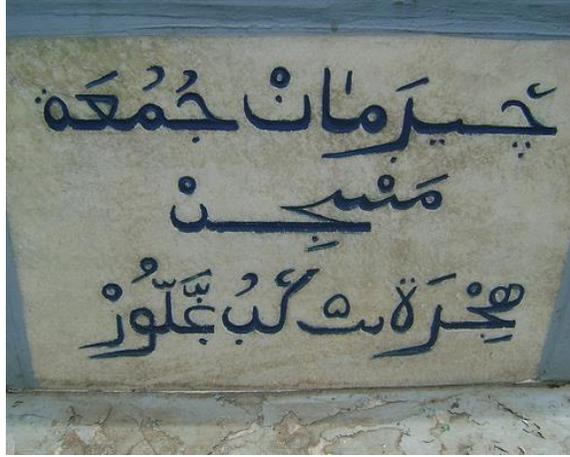
<sup>١</sup> - د/ سيد رضوان علي الندوي، اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون منشورات جامعة كراتشي باكستان الطبعة الأولى ١٩٩٥ م ص ٢٧-٢٨.

<sup>٢</sup> - محي الدين الألوائي، الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، دار القلم، دمشق.

(أغنية ما بلا – Mappilapattu) و"دف موت" (DufMuttu).

## لغة "عربي مليالم"

هي لغة يستخدمها أهال مليبار في مجال الدين وحياتهم الاجتماعية. وفي أول الأمر كتبت الصحف "ومالات" (Malappattu) ثم ألقت الكتب الدينية للمدارس حتى ظهرت المطابع التي تطبع لغة عربي مليالم، فأول مطبعة أسست في كيرالا في خط عربي مليالم هي في تلشيري (Tellicheri) عام ١٨٢٠ م. بأيدي تيكوكال محمد. وكان أول كتاب مطبوع في خط عربي مليالم "الطب النبوي" الذي قام بترجمته محمد بن عبد القادر مصليار بكاليكوت وطبع في ممباي عام ١٨٤٠ م. المطابع المشهور في مليبار مطبعة ترورنغادي، ومطبعة سي أتش محمد كويا وأبناءه، ومطبعة آمنة.



يقال "إن السبب التي أدت إلى تكوين خط جديد على هذا النمط "أن هناك ثمانية وعشرون حرفا في اللغة العربية، ولكن ليس لمعظم الحروف العربية مخارج متساوية في لغة مليالم، مثل الغين والضاد والذال وما إليها، وعلى الرغم من هذا ليس

هناك حروف تتمثل ثلاثة وخمسين حرفا في لغة مليالم، ووصلوا إلى حل وذلك خط عربي مليالم".<sup>1</sup>



### دَف مَوْت (DufMuttu)

ومن تراث مليبار الشعبية ضرب الدفوف، يتناقلها أهل مليبار جيلا بعد جيل، وإنه نوع من الفنون الذي يرونه من الأحداث الاجتماعية عند المهرجانات والأعياد وحين الزواج، والفنانون يقرعون على أداة إقاعية مستديرة قليلة العمق تسمى الداف، ويغني قائد الفرقة بدوره الريادي ويتحرك الجميع على إيقاع واحد في أن واحد. وفي معظم الأحيان تكون الأغنية ذات صلة دينية، ويعرض عند استقبال الضيوف تحية لهم أيضا.

"وهذا الفن ورثها أهالي مليبار من العرب، كما تشير إليها الوثائق التاريخية، إن

<sup>1</sup> - [http://twocircles.net/2010jan12/mappila\\_culture](http://twocircles.net/2010jan12/mappila_culture)

أهل المدينة وأولادها استقبلوا النبي صلى الله عليه وسلم حينما هاجر إليهم بضرب  
الدفوف وينشدون أنشودة طلع البدر علينا.....<sup>١</sup>.

ويؤكد الأحاديث النبوية الشريفة أن ضرب الدفوف كانت في عهده صلى الله  
عليه وسلم، كما جاء في الأحاديث:

عن عائشة رضي الله عنها في النكاح: "فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف؟"  
(رواه الطبراني في الأوسط). وفي حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها: "فجعلت  
جويريات يضربن بالدف" (رواه البخاري). وفي حديث أنس رضي الله عنه: "فإذا  
هو بجوار يضربن بدفهن" (رواه ابن ماجه). وفي حديث عائشة رضي الله عنها في  
العيد "وعندها جارتان تضربان بدفين" (رواه أحمد والنسائي)



### أغنية مابلا (MapilaPattu)

ومابلا باتو أكثر تأثيرا بين الناس من الفنون الشعبية، لأنها تتغلغل في الوجدان  
وتنبه الشعور بسهولة. وتطور هذا الفن بديمومة الاحتكاك الثقافي والأدبي بين  
اللغتين العربية والمليبارية، وتغلب عليه في كثير من الأحيان السمات العربية  
والمميزات الإسلامية. ويستعمل في الأغنية الألفاظ من اللغات المختلفة من

<sup>١</sup> - [http://www.nidaulhind.com/2017/04/blog-post\\_92.html#.W2FD7](http://www.nidaulhind.com/2017/04/blog-post_92.html#.W2FD7)

الفارسية، والأردية، والتاملية، ومليالمية، وعربية، وغيرها، ومواضيعها تكون ذات صلة بالدين والحب والمدح والهجاء والبطولة.

وأغاني ما بلا لها باع طويل يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر، وأول عمل أدبي من هذا الفن الشكل الغنائي الفلوكلوري هو "محي الدين مالا" (مناقب الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني في أسلوب غنائي رشيق التي ألفها القاضي محمد الكاليكوتي عام ١٦٠٧م. ثم تبعها "مالا باتو" (Mala Paattu) مناقب الشخصيات الإسلامية الذين تمتعوا بمكانة مرموقة روحية عالية في تاريخ التصف الإسلامي مثل الشيخ الرفاعي، النفيسة المصرية، السيد مولى الدولية، والشيخ جستي الأجميري وغيرهم.

ومن أبرز شخصيات في هذا المجال هو موين كوتي وايديار من كندوتي قريب من ملابرم، أغانيه المعروفة بـ"بد باتو" (Padappattu) التي كان موضوعها قصة البدر وأحد وغيرها من الغزوات كما كان موضوعها قصة حب بدر المنير وحسن الجمال.

حينما يعبر قصة بدر وغيرها من القصة لا يخلو منها مخها ولكنه ينسج التاريخ كما هو باستعمال الكلمات الجزلة من اللغات المختلفة.

### الأطعمة والملابس

دخلت إلى أهل مليبار كثير من أنواع الأطعمة في مائدتهم، مثل: الكبسة، ومندي، والخس وغيرها، كما تعود أهل مليبار على الملابس العربية مثل القميص، وقندورة، ومنديو وغيرها، ومن الملحوظ أن أهالي مليبار اتخذوا فيها أسلوب اليمنيين، لأن معظم الأسر التي استوطنت في مليبار كان من اليمن مثل الأسرة المخدومية، والباقية، والعيدروسية وغيرها.

## تأثير اللغة العربية في لغة مليبار

وقد أثرت اللغة العربية لغة مليبار في أوجه ثلاثة. أولاً: انتشرت اللغة العربية في مليبار انتشاراً واسعاً بحيث تبحر فيها عدد غير قليل من المليباريين وحرروا فيها مقالات ونظموا فيها أشعاراً، بل ووضعوا فيها كتباً في مختلف فنون العلم والمعرفة ومن أبرزهم الشيخ زين الدين المخدوم والشيخ قاضي محمد الكاليكوتي، وأبو ليلى محمد ميران وغيرهم. ثانياً: ظهور لغة جديدة تكتب بحروف عربية وتنتطق باللغة المليبارية، وقد سبق ذكره. ثالثاً: دخول كلمات عربية عديدة في مفردات اللغة المليبارية مثل الشاي، والرد، والبدل، والصابون، وقوم، وحمق، وحمار، قلب، وعطر، وجواب، وغيرها كثير. ومن الجدير بالذكر تأثير اللغة العربية في الزواج والعادات والتقاليد. وأهالي مليبار مازالوا ولا يزالون يقومون حفلة زواجهم بصيغ عربية حتى الخطبة عند النكاح. خلاصة القول أن اللغة العربية وثقافتها تأثير بالغ بين أهالي مليبار. دخلت العربية إلى مليبار من ناحيتين ناحية تجارية وناحية دينية أو اجتماعية. وأثرت في حياتهم الدينية الاجتماعية وأدت إلى توليد فنون جديدة مثل خط "عربي مليالم" و"أغنية ما بلا باتو" وغيرهما.

وأما من ناحية اللغة يستعمل أهالي كيرالا كثيراً من الألفاظ العربية بصورتها الأصلية في حياتهم العادية وليست منحصرة بين مسلمي مليبار ولكنها ظاهرة اجتماعية عامة.

## المصادر والمراجع

١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة-تحفة النظار في غرائب الأمصار في عجائب الأمصار، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨م.
٢. د/ويران محي الدين، الشعر العربي في كيرالا مبدأه وتطوره، عربنت، كاليكوت، ٢٠٠٣م.

٣. أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لکنو، ١٩٨٦ م.

٤. محي الدين الألوائي، الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦ م.

5. E.K Ahmed Kutty Arabic in South India. ، Dept. of Arabic، University of Calicut. January، 2003.